



فلسفة التاريخ

مورار ومجبل

## السلالات البشرية وتكوين التاريخ تفسير التاريخ اثربولوجياً

انا طول : كان في امكانك ان تقول ، يا مسيو بكل ، ان العوامل القاطمة هي اقتصادية ، او عقلية ، او اثربولوجية . فقد كان الباحثون في عصري يزرون نهوض الام وسقوطها الى « السلالة » . وبذلك تمكن الاساتذة من ان يكونوا علماء ووطنيين معاً ، يستني منهم الكونت « غوينو » ، فلم يكن استاذاً ولا وطنياً

غوينو : لما كنت في سن العاشرة نشرت كتاب « تفاوت السلالات البشرية » . فأبنت فيه ان كل ما في الانسانية من فن وعلم وعمدٌن وكل ما هو عظيم نبيل ومشر على الارض ، مصدره واحد ، وهو السلالة « التوتونية » . والراجع ان هذا الفرع العظيم من القصة البشرية يختلف في اصله عن الجنسين الاصفر والاسود ، فتألفت ارومة خاصة من الناس سيطرت فروعها على كل المناطق المتمدية . فالسلالة تستطيع ان تفسر التاريخ . والزطامة كما قال نيتشه بنبت على الدم وليس على العقل

نيتشه : اني احترمك كثيراً يا مسيو غوينو . ولكني لا اقبل ان يكون لي نصيب في هذه الخدعة . فقد رأيت دماً نقياً في كل سلالة . وقد يكون دم الملاحين البنادق اتى من دم الخاصة البرلينيين

انا طول : يا عزيزي الكونت لم يسأ الالمان من نظرتك ولا الانكليز . فقد قبلها الاستاذ « فرمن » بسرعة غير محودة واعتفها الاستاذ « تريشكي » بسرور . وسلم الدكتور « برنهاردي » ان الالمان اعظم شعب منمدين عرقه التاريخ . وكتب المسيو « تشربلن » الذي هجر انكلترا الى المانيا كتاباً اسماء « اركان القرن التاسع عشر » ، برهن فيه على ان التاريخ الحقيقي بدأ لما قبضت اليد الالمانية على ميراث القدم . فما هو مقام خالقي ذلك الهيرات في التاريخ ؟ وكان يوقن ان ظهور العبقرية في رجل دليل على انه توتوني ، فوجه « دانتي » عنده الماني صميم . ولم يقل ان يسوع المسيح كان المانياً ولكنه قال ان من يزعم ان يسوع يهودي فهو اما جاهل او خادع . وقد اعرب « رتشرد فنتز » عن هذه المسألة

بالموسيقى . وبعد ان طأن الناقاة نصف قوت اكتشف انه اذا سلم بتفسير التاريخ تفسيراً  
توتونياً ، امكنه اذناع مواطيه بأن يفوا ديونه !

نيتشه : اني احب هذا الرجل كثيراً . ولكنك اصبت في انه دجال

اناطول : كل عبثي دجال ، لانه بدون قليل من التدجيل يموت . ولا سبأ في

البلدان الديموقراطية !

وليم جيمس : كانت روح المصرمؤيدة لنظرية تفسير التاريخ ذوع السلالة في عهدنا . وكان  
« غلن » يمزو العرقية الى الوراثة . وكانت اليوجنية في مطلع حملتها خلق اطفال  
ارستقراطيين . وكان مكس مرر يثبت بأصول اللة ان جنساً آرياً جاء من الهند وساد  
اوربا . وكان « ويزمن » يرهن على ان الجرثومة التي تنقل الصفات الوراثة وهاه واحكمده  
ولا يتأثر بالحيط . فكان البيولوجيون يقولون على الوراثة ، والمؤرخون على السلالة

اناطول : قد تعلمون يا سادتي ان « ماديسن غرنت » الذي جاء حديثاً من نيويورك  
هو ثقة في هذا البحث . وقد صرّحت في شيخوختي على نسخة من كتابه « افول السلالة  
العظيمة » فظننته يعني بها الفرليين . فلما تبينت انه يعني به الالمان والانكليز رأيت ان  
مطالعة الكتاب غير ضرورية لئلا يخطأ مؤلفه

فولتير : أظلمنا على آرائك يا ميسو غرنت . ولا تمك مخالفة اناطول فرانس . فقد  
يكون الفرليون مخطئين وكل الناس مصيبين

غرنت : مختلف نظرتي عن نظرية « شمبلن » ، او نظرية « غوينو » . فاني لا اسم  
بأن السلالة التوتونية مزيج من شق الاصول التي لم تندمج بعد . وقد حصرت بعني في الفرع الشمالي  
المتجلي اليوم بالالمان المتسلسلين من اصل بنطقي ، والانكليز والاميركيين الذين من  
اصل سكوي . على ان هذه الشعوب محدثة وأما السلالة قديمة . ظهرت اولاً في « الناسيين »<sup>(١)</sup>  
الذين حلوا اللة السنكرتية الى الهند . وهم غزاة يض دخلوها من الشمال ، وابتدعوا  
نظام الطبقات ، متعاً لتبادل الزواج وساد جنسهم به . وكلة طبقة ( caste ) تمنى اللون  
في نهم ، ووظيفتها بيولوجية ، لا اقتصادية ، وغرضها وقاية الدم لا أخكار الفرص . ثم  
عبد الشماليين في السريين<sup>(٢)</sup> الذين تدفقوا من آسيا الى بلاد فارس . وفي الاخاثيين<sup>(٣)</sup>  
والفريجيين<sup>(٤)</sup> والدوريين<sup>(٥)</sup> الذين ظنروا بالاناضول واليونان . وفي الاميريين<sup>(٦)</sup>  
والاوسكان<sup>(٧)</sup> الذين اكتسحوا ايطاليا . وأن ذهبوا فهم غازون متحارون مكتشفون

Phrygians (٤) Achaeans (٣) Cimeraerians (٧) Sacae (١)  
Oscans (٧) Umbrians (٦) Dorians (٥)

وحكام ، يقطنون الشواطئ . وهم على تمام التباين مع السلالات الآورية ، كلاليين الودماء ، او شعوب البحر المتوسط المتدينين المتقين . وانك لتجد هذا التباين على اعمه في ايطاليا . فجنوبها مأهول بذراري العبدان الذين جلبهم الرومانيون من الجنوب والشرق للسمل في حقولهم في عهد الامبراطورية . اما الشمال فيقطعه ذراري غزاة الالمان منذ عهد شارلمان وقيسر . وهؤلاء هم مبدعو عصر النهضة في فلورنسا ، وحاملوه الى روما . فداتي ورفائيل وتشن وسيخائيل انجلو وليوناردو <sup>(٨)</sup> ، كلهم من السلالة الشمالية . وقد تزوج اليونان والاخاثيون التورديون (اي الشماليون) فنسلوا الشعب الاثيني المتفوق في عهد بركليس <sup>(٩)</sup> اناطول : اَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التزاوج خطأ من الاخاثيين

فولير : لا يهكك ذلك يا سيو غرت ، فاستأف خطاك

غرت : وكان زواج الدورين مع الاغراب قليلاً ، فنسلوا الاسبرطين البسل ، وهم سلالة تورديية حكمت على عبدان البحر المتوسط . طبقات اليونان العليا كانت سفراء . والدنلى كانت سمراء انه ليتذر علينا ان تصور مثلاً يونانياً يجعل الزهرة سمراء اللون والملائكة في الكنائس الصراية شقراً . مع ان اهالي الجنوب سمراء غامقون . وفي اكثر الرسوم المنسوجة ترى الفرسان شقراً ، يمسك لهم الزمام عبيد سود . ولا يتردد فنان واحد في تصوير لصين اسمرين ، والمسيح بينهما اشقر . وهذا ليس مجرد تواضع بين التصويرين والمثاليين ، لان اساطيرنا تشير الى ان المسيح من اصل شمالي وقد يكون في اوصافه الجسدية والعقلية يونانياً اناطول : ومن النكال ان تكون عظاماً تموت جوعاً ، وبعد موتك بصورتك بكل لون الا لونك الحقيقي . ولكن كسل ودع الشماليين يأخذون المسيح مادام اليهود قد نبذوه غرات : سقط اليونانيون امام المسكدينين ، لاحتطاط لسلمهم بالمزاوجة . اما المسكديون فقد احتفظوا بنقاوة سلاتهم وقهروا الفرس الذين اضغمهم التزاوج بالسلائل الآسيوية . ولم تر الشماليين قارئن بعدها الى عهد النزوة الكبرى ( على اوربا ) فنظروا الى البلطيق ، واحتلوا اسكندنياً وانتشروا منها في شتى الانحاء . وهم غوث <sup>(١٠)</sup> واوسترغوث <sup>(١١)</sup> وقزغوث <sup>(١٢)</sup> وسجربيون <sup>(١٣)</sup> وانجلز <sup>(١٤)</sup> وسكسون <sup>(١٥)</sup> وفرززيون <sup>(١٦)</sup> وغال <sup>(١٧)</sup> وافرنج <sup>(١٨)</sup> وتوتون <sup>(١٩)</sup> وفدال <sup>(٢٠)</sup> وسوافيون <sup>(٢١)</sup> ونورنديون <sup>(٢٢)</sup> . ويندر وجود بقعة في اوربا لم

(٨) اشهر رجال الفن في عصر الاحياء او النهضة Renaissance (٩) حاكم اثينا له عهد ازدهار للفنون والعلوم وانطلقت فيها في نهاية القرن الخامس ق م (١٠) Goths (١١) Astrogths (١٢) Visigoth (١٣) Cimbrians (١٤) Angles (١٥) Saxons (١٦) Frisians (١٧) Gaul (١٨) Franks (١٩) Teuton (٢٠) Vaudals (٢١) Suedi (٢٢) Normans

يكتسحها هؤلاء السفاكون ويملكوها . بدأوا يقهر روجا ، وكالت منهم دوقات في هصر الاحياء واكتسحوا بلاد الثمان مراراً . فقبائل الفرنك من اصل نوردي وهم اعطوا فرنسا اسمها الجرمانى . وكان شارلمان امبراطوراً جرمانياً ، طاسته اكن ، وكانت الجرمانية لغة بلاطه . وظلّت اوربا عانية لحكم الشماليين الى حرب الثلاثين سنة (١٦١٨) — (١٦٤٨) . وكان نظام الفروسية ، ونظام الاقطاع ، وفوارق الطبقات ، والفخر القومي والشرف الشخصي والمائلي ، والمبارزة ، كل هذه من اوضاع الشماليين . هذه هي السلالة التي خرج منها النورمنديون لاكتساح فرنسا وصقلية وانكلترا . وهي التي اخرجت الفرنجيين<sup>(٢٣)</sup> الذين اخضعوا روسيا وسادوها الى سنة ١٩١٧ . هي استعمرت اميركا واورسترايا ونيوزيلاند وغيرها . وهي هي قنحة الصين للتجارة الاوربية . هؤلاء هم الانقوام الذين تسبقوا قم الالاب وضربوا في مفاوز الجليد الى القطبين . فانا آسف لان سيادة هذه السلالة قد دنا وقت اقولها . ففقدت مكانتها في فرنسا سنة ١٧٨٩ . فقد كانت الثورة الفرنسية قيام سكانها الاصليين على التونون ، الذين كانوا قد تهرؤمهم تحت اعلام كلونيس وشارلمان ، واستمر حكمهم الاقطاعي بفرنسا الثمينة . ان امتحار النورديين الحربي كان في الحملات الصليبية ، وفي حرب الثلاثين ، وحروب نابليون ، والحرب العالمية الكبرى . فالحروب المذكورة قد اضعفت هذه السلالة في الدنيا . ويزداد تضادها في انكلترا والمانيا بنقص المواليد . فقد سقطوا في روسيا امام البرابرة بقودهم مغولي ويهودي وسقطوا في اميركا بالمهاجرة الدافقة من جنوبي اوربا ، وكثرة توالد مزاجهم والحكم الفاصل في الديمقراطية للعدد الاكبر واستهواء الجماهير

اناطول : عبارة بديمة يا مسيو ، عبارة بديمة

غرنت : والنتيجة انحطاط الثقافة ، وفساد الذوق ، في انكلترا واميركا . فاشكال الرفص والاذاني والالاب وطوائف السياسيين للتركيب ، تخرج من ثقافة الشعب الآن . وكنت قد فكرت قبل بضع سنين بانه يمكن انقاذ الجنس العظيم باميركا بواسطة سن قوانين صارمة ضد المهاجرة ، وحظر الزواج بين النورديين وبين غيرهم من العناصر . اما الآن فقد فات الوقت وسيكتل التفاوت في المواليد البعاد الذي بدأته المهاجرة . وسيفقد الشماليون القوة والحول نحو سنة ٢٠٠٠ م في كل صوب . فيزول معهم النعدن الاوربي والاميركي وتعود همجية جديدة تطلع من طبقات الامة السفلى

اناطول : مشهد مريع . عني ان الفرنسيين والاليين والابطالين والنمسيين والروس سيتقون . فلتعز بان الروس والابطالين لن يسبحوا للديموقراطية ان تخرب بلادهم .

فما اقطع قبة اولئك الشماليين — الانكليز — بابتداع حكم الاكثرية . ولكن قل لي يا سيو :  
 أحقية انك تحسب الشعوب الشمالية شعوباً عظيمة ؟ لقد كانوا قناكين وقرصاناً وعشارين  
 وسلايين . أهنأ هو النمدن ؟ غرنت : قد انشأوا دول شمالي أوروبا ، فعملوا النمدن ممكناً  
 ينتمه : اذا كانوا قد شيّدوا تلك الدول فالفضية ضدهم قوية . فقد كان خبيراً للسمران  
 لو لم توجد تلك الدول . ولكن الباباوات ، اذ ذلك ، يحكون أوروبا المتحدة ، فضل الكنيسة  
 في ظل سلامها المكفول ، ما فعله « الاحياء » ، فتضج ايطاليا للسياسة والفن ، ولكانت  
 الطبقة المثقفة حرة اليوم كما هي في باريس وينا ، وأما سائر طبقات الشعب فكانت تكفي  
 بالتمزية الكهنوتية غرنت : أنت وثني يا رجل

ينته : كيف لا اكون وثنياً وقد درست اللغة اليونانية

انا طول : قد عقدنا جمعية . واقترعنا — كما يقترح الاميريكيين على تعليم البيولوجيا —  
 لزي من م اعظم الانسانية . واظن اني اذكر الفائزين بالانتخاب . وهم :

الاول شكبير . لم يجرؤ احد ان يعقل اسمه . الثاني بتهوفن . الثالث ميخائيل المجلو .  
 الرابع يسوع المسيح ، وهو شاب محبوب حقيقة متى عرفته . الخامس افلاطون ممثل الفلاسفة ؛  
 السادس ليوناردو دي فنشي ممثل الفنين . السابع : . . لم ادعهم ينفقوا قولير ؛ واصر  
 ينته على ادراج اسم نابليون فكان الثامن . والتاسع يقصر بناء على اصرار « براندس »<sup>(٢١)</sup> ؛  
 وكنت قد اخترت « رابليه » عاشراً . ولكن الناخبين استبدلوه « بدارون » فكيف ترى  
 هذه اللامحة يا سيو غرنت غرنت : لا بأس بها

انا طول : لا تحب قلما تأمل فيها من حيث رأيك في خلق الحضارة على ايدي الشماليين . فان لك فيها  
 علامة فقط . والباقيون يونانيون ويهود ولا تينيون ، دلالة على ان الشماليين لم يشتهروا بالفن والادب  
 والفلسفة والديانة . موضوعات القلب والعقل — اشتهارهم بالعلم والنجح والحب وفرض الضرائب  
 غرنت : وقد تكون مصيباً . فشعب البحر المتوسط ، مع أنه اضف من الشماليين والاليين  
 باعتبار القوة الجسدية ، هو اقوى منها عقلياً ، وشهرته الفنية غنية عن الايات . فقد دخل  
 الفن الى أوروبا من الجنوب ، لا من الشمال . فان تمدن مصر الحريق في القدم ، وامبراطورية  
 كريت الباهرة ، وامبراطورية ايترويا ، سلف رومية ومرشدتها الشديدة الحلول ، ودويلات  
 اليونان ومستمراتها في البحر الايض المتوسط والبحر الاسود ، وعظمة فينيقية البحرية  
 والتجارية وامبراطورية قرطجة الشهيرة ، كل هذه ، تاج سلالات البحر المتوسط ، والها  
 مرجع الفضل في تمدن أوروبا الفلسفي المدرسي

(٢١) Brandes (٢١) ناقد داممركي ثورمست ١٩٢٧ له مؤلف مشهور في بوليس يقصر نشره سنة ١٩١٧

اناطول : ان تسامحك غايبة في الكرم . فلا اشد عليك في امر فوق الاثنين في كل  
 ناجة من مناحي الحياة سوى الحرب ، وهم تاج التزاوج بين الشماليين وشعب البحر المتوسط ،  
 على الاسبرطيين الذين نلت انهم شماليون صميمون . واسألك فقط عن الاسكندنافيين الذين  
 اعطونا « ابن<sup>(٢٥)</sup> » الخفيف وجواتز نوبل ، رغم لطفهم العظيم ( لانهم منحوه جائزة نوبل  
 في الآداب والكلام مسخرية ) . فقابل بين آثارهم في الفن والآداب والعلم والفلسفة ، وبين آثار  
 الطليان في عهد الاحياء ، الذين اذا وقتنا بما قتله كانوا تاج زواج مختلط . اننا نقول ان  
 التزاوج بين الشماليين وغيرهم يفرعن نتائج صالحة ؟ غرنت : احياناً نبته : وما هي السلالة  
 غرنت : هي واضحة كككل شي بدسيي وتعرفها التقريبي هو : « طائفة من الناس ، من اصل  
 متشابه ، تصف أكثرها الساقفة بوحدة اللون ، والجلد ، ونسيج الشعر ، وشكل الرأس وبناء الجسم  
 اناطول : اخبرني مسيو هيلير بولوك<sup>(٢٦)</sup> لما كنت في أمكلترا عن السمان شمالي الهند ،  
 ولكنه الي الشعر والرأس واللون والقامة . وذكر امرأة أكد ان لها خمسة اولاد ،  
 اثنان منهم يتسيان الى شعوب البحر المتوسط ، وواحد الي الشكل ، وواحد شمالي ، وواحد  
 اوصافه مزيج من اوصاف الاجناس الثلاثة

غرنت : اني اسلم بان لا جنس تام التقاوة . بل قد مازج كل دم اصول جمة . ولكن  
 ارستقراطي الانكليز اتى دماً من الاميركي المتسلل اليوم من اجناس شتى في الولايات المتحدة  
 بكل : ولكنني اعلم ان الانكليز تاج الستيين والرومانيين والانجليز والكسوين اوالدانيين  
 والنوومنديين غرنت : على ان اكثرهم هؤلاء الشعوب من الاصل الشمالي . فهم من سلالة واحدة  
 وتزل : هل لي ، ايها السادة ، ان اقتحم البحث ؟ فقد درست المسألة باعته ، وتوصلت  
 الى الحكم بان كل هذه الشعوب الاوربية فروع اصل واحد جاء من الشرق ، وكان سابقاً  
 كالاليين ، واكنة لما انتشر شمالاً وجنوباً بالثور . فصارت منه نماذج شتى كالنورديين ، وشعب  
 البحر المتوسط ، لا اختلاف الاحوال الجغرافية والاقتصادية . فاختلاف السلالات نشأ عن اختلاف  
 الاحوال البيئية . والسامل الاثر بولوجي قلما يصح ان يدعى عنصراً حاسماً في التاريخ . فالشماليون  
 يقبسون صفات الجنوبيين متى اقموا بينهم ، وسكنوا المناطق الاستوائية فيميل الجيليون الى طول  
 القامة في كل قطر مع صرف النظر عن سلالة . وقد لاحظ الباحثون ان الانانيين الذين  
 سكنوا البرازيل طويلاً فقدوا قوتهم الشمالية . وهم كالانكليز في جنوب افريقية ، يجلس  
 واحدهم تحت تينته ويستأجر عبيداً ليملوا عمله . فالارصاف الجنوبية ترجع في الاساس الى

حنا خاز

مترجمة بتصرف قليل

البيئة الجغرافية

(٢٥) Ibsen مؤلف درامي اسويدي بحسب من اعلام التراما المصرية (٢٦) Hielaire Belloc